دَعْمُ الاسْتِئْذَانِ بِغَضِّ البَصَرِ

- إِنَّ استِرسَالَ النَّظَرِ لِمَا حَرَّمَ اللَّهُ مِنَ العَورَاتِ وَسِيلَةٌ تُمَهِّدُ الوصُولَ إِلَى المَعاصِي؛ لهَذَا فَقَدْ أُمِرَ المُؤمِنُونَ، مِنَ الرِّجَالِ بِغَضِّ البَصَرِ، عَمَّا حُرِّمَ عَلَيْهِم بِأَنْ يَحْبِسَ أَحَدُهُمْ مِنْ نَظَرِهِ عَنْ غَيْرِ مَحَارِمِهِ، ولَا يَسْتَرْسِلَ مَعَهُ فِي رُؤْيَةِ مَا قَدْ يَفْتِنُهُ مِنَ النِّسَاءِ، وَيُحَسِّنُ لَهُ فِعْلَ الفَاحِشَةِ، فَقَدْ قِيلَ: أَكْثَرُ أَسْبَابِ المُصَادَفَةِ، النَّظَرُ، والتَّثَبُّتُ فِيهِ، وَمُعَاوَدَتُهُ، واللهُ ﷻ جَعَلَ غَضَّ البَصَرِ وِقَايَةً لِحِفْظِ الفُرُوجِ، وعِفَّتِهَا، وَتَزْكِيَةً لِلنُّفُوسِ؛ لأَنَّهُ بِسَبَبِهِ قَدْ يَتَحَقَّقُ فِعْلُ الفَاحِشَةِ، وَيَؤولُ إِلَيْهِ.

كَمَا قَالَ أَحَدُهُم: نَظْرَةٌ، فَابتِسَامَةٌ، فَمَوعِدٌ، فَلِقَاءٌ!

قَالَ تَعَالَى: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا۟ مِنْ أَبْصَٰرِهِمْ وَيَحْفَظُوا۟ فُرُوجَهُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾ [النور: ٣٠].

وَبِسَبَبِ مَا خَصَّ اللهُ النَّوْعَيْنِ بِإِرَادَتَيْنِ مُخْتَلِفَتَيْنِ، وَمَسْؤُولِيَّةٍ مُبَاشِرَةٍ، أَمَرَ النِّسَاءُ بِذَلِكَ أَيْضًا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَقُل لِّلْمُؤْمِنَٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ۖ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ۖ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا ...﴾ [النور: ٣١].

وَأَبَاحَ سُبْحَانَهُ لِلنِّسَاءِ إِبْدَاءَ زِينَتِهِنَّ عِنْدَ مَحَارِمِهِنَّ، وَأُمِرْنَ بِضَرْبِ الخِمَارِ عَلَى جُيُوبِهِنَّ، مُرُورًا بِالْوَجْهِ، مِمَّا يَسْتُرُ النَّحْرَ، والصَّدْرَ، والتَّرَائِبَ، والشَّعْرَ، عَنِ الأَجَانِبِ مِنَ الرِّجَالِ،

تَفَادِيًا للفِتْنَـــةِ، وَكَبْحًا لِلغَرائِزِ، وَالحَـــدِّ مِنَ اتِّبَاعِ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ.

وَقَدْ ذَهَـــبَ البَعْضُ إِلَـــى أَنَّ الوَجْهَ، وَالكَفَّينِ مِنَ المَرأَةِ لَيْسَـــا بِعَوْرَةٍ، فَلَمْ يُوجِبْ سِتْرَهُمَا عِنْدَ الأَجَانِبِ، مِـــنَ الرِّجَالِ وَذَلِكَ أَمْـــرٌ يُعَارِضُهُ فَهْمُ السَّـــلَفِ مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَـــىَ: ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَٰعًا فَسْـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍۚ ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّۚ﴾ [الأحزاب: ٥٣].

فَلَم يَسْتَثْنِ شَيْئًا مِنْهُنَّ فِي الحِجَابِ.

وَيَقَعُ الوَجْهُ فِي المُقَدِّمَةِ، إِذْ هُوَ الأَحْوَجُ لِلسِّتْرِ؛ لِكَوْنِهِ مَكْمَنَ الجَمَالِ، ومِفْتَاحَ شَـــخْصِيَّةِ الإِنْسَانِ، وَشَخْصِهِ، وَيَضُمُّ أَجْمَلَ أَعْضَائِهِ، ومَلَامِحِهِ: الجَبْهَةِ، والحَاجِبَـــينِ، والعَيْنَـــيْنِ، وَالأَنْـــفِ، والوَجْنَتَينِ، والشَّـــفَتَينِ، فَلَا يَكْتَمِلُ حِجَابُ المَرْأَةِ حَتَّى تَسْتُرَهُ،

وَالعِلَّةُ كَمَا جَاءَ فِي قَولِهِ تَعَالَى: ﴿ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾[الأحزاب: ٥٩].

- وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا﴾ [النور: ٣١]، المَقْصُودُ - واللهُ أَعْلَمُ - مِمَّا لَا يُمْكِنُ إِخْفَاؤهُ، كَالثِّيابِ، وَمَا انْكَشَفَ بِسَبَبِ الرِّيَاحِ، أَوْ حَمْلِ المَتَاعِ.

- والاسْتِثْنَاءُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِلَّا مَاظَهَرَ مِنْهَا ﴾[النور: ٣١]، قِيلَ: هُوَ مُجْمَلٌ تُفَسِّرُهُ الآيَاتُ الأُخْرَى، وَالمُجْمَلُ لَا تُعَارَضُ بِهِ النُّصُوصُ، والنُّصُوصُ صَرِيحَةٌ فِي عَدَمِ إِبْدَاءِ الزِّينَةِ، وَالوَجْهُ مِنَ الزِّينَةِ، فَوَجَبَ سِتْرَهُ عَنْ كُلِّ مَنْ لَيْسَ بِمَحْرَمٍ، لِمَا فِيهِ مِنَ الحَيْطَةِ، والبُعْدِ عَنْ أَسْبَابِ الفِتْنَةِ، وَالعَمَلِ بِالآيَاتِ المُحْكَمَاتِ.

وَقِيلَ: المُرَادُ بِهِ الوَجْهُ، والكَفَّانِ، فَإِنَّهُمَا لَيْسَا بِعَوْرَةٍ، قَالَ البَيْضَاوِيُّ: الأَظْهَرُ أَنَّ هَذَا فِي الصَّلَاةِ، لَيْسَ فِي النَّظَرِ، فَإِنَّ كُلَّ بَدَنِ الحُرَّةِ عَوْرَةٌ، لَا يَحِلُّ لِغَيْرِ الزَّوْجِ النَّظَرُ إِلَى شَيْءٍ مِنْهَا، إِلَّا لِضَرُورَةٍ، كَالمُعَالَجَةِ، أَوَ تَحَمُّلِ الشَّهَادَةِ. (التفسير ٢/ ٥٨).

قَالَتْ عَائِشَةُ ﵂: «**كَانَ الرُّكْبَانُ يَمُرُّونَ بِنَا، وَنَحْنُ مُحْرِمَاتٌ مَعَ رَسُولِ اللهِ، فَإِذَا حَاذُونَا سَدَلَتْ إِحْدَانَا جِلْبَابَهَا مِنْ رَأْسِهَا عَلَى وَجْهِهَا، فَإِذَا جَاوَزُونَا كَشَفْنَاهُ**». (رواه أبو داود).

يَصْنَعْنَ ذَلِكَ بِحَضْرَةِ النَّبِيِّ ﷺ، فَأَقَرَّهُنَّ عَلَى ذَلِكَ. والإقرار بمثابة المرفوع، فِي الحُكمِ عَلَى الحَدِيثِ.

وَقَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿**وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ**﴾ [النور: ٣١].

قِيلَ: كَانَتِ المَرْأَةُ إِذَا مَشَتْ، ضَرَبَتْ بِرِجْلِهَا، لِيُسْمَعَ صَوْتُ خُلْخَالِها، وَيَتَبَيَّنَ السَّامِعُ مَوْضِعَهُ، فَمُنِعَتْ مِنْ فِعْلِ ذَلِكَ كَبْتًا لِلفِتْنَةِ، وَالفِتْنَةُ فِي كَشْفِ الوَجْهِ، وَاليَدَيْنِ أَعْظَمُ مِنْ كَشْفِ القَدَمِ، وسَمَاعِ رَنِينِ الخُلْخَالِ!!.

- وَمِنْ شَأْنِ المُنَافِقِينَ، وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَرَضٌ، والمُرْجِفُونَ فِي المَدِينَةِ تَتَبُّعُ العَوْرَاتِ، والإِسَاءَةُ إِلَى المُحْصَنَاتِ بِالحَدِيثِ عَنْ أَعْرَاضِهِنَّ، وَمَعْرِفَةِ أَسْرَارِهِنَّ، وَكَشْفِ سُتُورِهِنَّ، إِذَا هُم رَأَوْهُنَّ سَافِرَاتٍ.

- قَالَتْ أُمُّ سَلَمَةَ رضي الله عنها: أَنَّ مُخَنَّثًا كَانَ عِنْدَهَا، وَرَسُولُ اللهِ فِي البَيْتِ، فَقَالَ لابْنِ أَخِيهَا، عَبْدِ اللهِ بنِ أَبِي أُمَيَّةَ رضي الله عنه: إِنْ فَتَحَ اللهُ عَلَيْكُمُ الطَّائِفَ غَدًا، فَإِنِّي أَدُلُّك عَلَى ابْنَةِ غَيْلَانَ، فَإِنَّهَا تُقْبِلُ بِأَرْبَعٍ،

وَتُدْبِرُ بِثَمَانٍ، فَسَمِعَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَقَالَ: «**لَا يَدْخُلْ هَؤُلَاءِ عَلَيْكُنَّ**». (متفق عليه في المغازي).

وَفِي رِوَايَةِ الكَلْبِيِّ: فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**لَقَدْ غَلْغَلْتَ النَّظَرَ إِلَيْهَا يَا عَدُوَّ اللهِ**» فَأَجْلَاهُ عَنِ المَدِينَةِ إِلَى الحِمَى. (الفتح/ نكاح).

وَقَالَ المُهَلَّبُ رضي الله عنه: إِنَّمَا حَجَبَهُ عَنِ الدُّخُولِ إِلَى النِّسَاءِ، لَمَّا سَمِعَهُ يَصِفُ المَرْأَةَ بِهَذِهِ الصِّفَةِ الَّتِي تُهَيِّجُ قُلُوبَ الرِّجَالِ، فَمَنَعَهُ لِئَلَا يَصِفَ الأَزْوَاجَ لِلنَّاسِ، فَيَسْقُطَ مَعْنَى الحِجَابِ. ا. هـ (فتح الباري/ ٩/ ٣٣٦).